



للأسف اقترنت غالبية النخب العربية بالأنظمة، فكانت خير معين لها على بقائها في السلطة ومسرعن لديمومتها واستبداديتها، وحين انتفخت بعض الشعوب العربية لتزفف أنظمة استبدادية شمولية ديكاتورية إلى مزابل التاريخ تداعت هذه النخب الفاسدة المفسدة - التي في حقيقتها وجوهرها أصل البلاد وأس الداء لما نحن فيه ولما وصلنا إليه-. تداعت لتحمي هذه الأنظمة المستبدة مضحية بالشعوب وبالأوطان، ما دام شعارها هو الحفاظ على مصالحها المادية والسلطوية، ولو كان ذلك بذهاب البلاد والعباد.

لدينا أنموذجان ربما يمكننا القياس عليهما لمعرفة نفاق وازدواجية هذه النخب التي لم تكن إلا رجع صدى للاستبداد العربي والتي سيكتب التاريخ يوما أنها من قادته، فالاستبداد الثقافي الإيديولوجي كان في قمرة القيادة، أما الاستبداد السياسي فكان تبعا له ومعتمدا عليه في حله وترحاله، ولذا رأينا تباين مواقف النخب العربية بين احتلال السوفيت لأفغانستان عام 1979، وهو بلد أعمامي غير عربي، وبين احتلال إيراني وروسي فاضح ومكشوف للشام كبلد عربي، حيث بدأت النخب بتتبیع الخطب والمقالات التي تزين هذا الاحتلال على أنه تارة كاقتتال داخلي وحرب أهلية ومنذهبية، وتارة أخرى على أنه تدخل قد يساعد في إيجاد تسوية سياسية، وتارة ثالثة على أنه حرب على الإرهاب والإرهابيين، لكن غاب عنها تماما أن الانتفاضة في جوهرها وحقيقة وغايتها انفصال عن الاستبداد المحلي والدولي واستعادة شعب كشعب الشام هويته وحق تقرير مصير سلب منه لعقود، وطوال هذه الفترة لم يرف جفن لهذه النخب المتعفنة في أن تنتصر لشعب، بينما آثرت الانتصار لطاغية مجرم سلليل عائلة مجرمة حاقدة.

هذه النخب العربية والإسلامية عليها اليوم الاعتذار للشعب السوري لاصطفافها إلى جانب الطاغية وشرعنة بقائه في السلطة على أنه محور مقاومة وممانعة، فظهر كذبه وخطله وبهتانه، وظهر معه أيضاً كذب من أصلق به هذه الصفة، صفة المقاومة والممانعة، أو أن هذه النخب السياسية والثقافية والفكرية متواطئة معه تماماً وكانت تعرف تماماً أنه كاذب، وأنه عميل للصهاينة وكل ما هو أجنبى تجلى ذلك بتحالفه مع كل قوى الشر لإبادة الشعب السوري، أو أن هذه النخب غبية وجاهلة ولم تكن تعرف حقيقة النظام ولا حقيقة المؤامرة الدولية، وهي بهذه الحالة لا يحق لها أن تقدّم أغناها فضلاً عن أن تقدّم شعوبها وتنطق باسمها، بينما تسبّبت كارثتها تلك بكل هذه المأساة من الشام والعراق إلى اليمن وفلسطين، حين أضفت الشرعية على كذبة وخونة من النظام المجرم في الشام إلى الصفوين بإيران وحزب الله في لبنان.

لم تكتف هذه النخب بخيانته الشعب السوري وخيانة ثورته الشامية العظيمة التي قل نظيرها في التاريخ إن كان من حيث الصمود الأسطوري أو من حيث القدرة على تقديم الضحايا أو من حيث تكالب الأعداء القاتلة من الداخل والخارج ضدها، فوسيّعت هذه النخب معركتها ضد الشعب السوري بالانتصار للطاغية وأسياده باسم حماية الأقليات أو محاربة الإرهاب أو.. أو، ولكن آخر همها الانتصار للشعب السوري المنتفض التأثير، لتصبح إلى الدول الواقفة إلى جانبه كتركيا، ولم تُعد هذه النخب وسيلة ولا منبراً للنيل من أردوغان الذي يصب النيل منه في حماية الطاغية وأسياده وإلحاد الهزيمة بالثورة الشامية تحت مسميات ولافتات كاذبة وخادعة، تماماً كما لو ركّزت تلك النخب على طلب رئيس الرئيس الباكستاني السابق ضياء الحق الداعم الرئيسي للجهاد الأفغاني، فماذا سيكون مصير الأخير حينها؟

تنطلق إلى أفغانستان عام 1979 حيث كانت ممن نال شرف تغطية تلك الأيام المفصلية الحاسمة والتي لا تزال تشكل حاضرنا، فقد كانت هذه النخب متماهية تماماً مع التحرك الأميركي والغربي بشكل عام، ليظهر اليوم أن الانتصار النبوى العربي لم يكن أبداً انتصاراً للمبادئ والمثل التي جسدها الشعب الأفغاني، وإنما الانتصار قد تواصل اليوم بنصرة الشام ومثلها ومبادئها:

أولاً لأنها انتفاضة شعبية عارمة أكبر من انتفاضة الأفغان يومها ضد الشيوعية.

وثانياً لكون المتضرر شعباً عربياً أصيلاً كالشعب السوري.

وثالثاً فإن الشيوعية يوم دخول القوات السوفيتية الغازية كانت تسيطر على غالبية الأرض الأفغانية، بينما الشام اليوم لا يسيطر الطاغية فيها إلا على 14% من الأرض.

كان الإعلام العربي يتغنى أيام الجهاد الأفغاني بالشعب الأفغاني ويعكس همومه وشجونه، ولم نجد وسيلة إعلامية واحدة تتحدث عن الإرهاب أو عن الأفغان العرب، أو ما يشن ذلك الجهاد، ولكن في الشام اليوم اختلف الأمر وتعرت هذه النخب العربية المستبدة كما تعري الاستبداد حين ظهر كذبها في الترويج لأنظمة تاجرت بالوحدة والحرية والاشتراكية ثم بالمقاومة والممانعة، حتى أفلست شعاراتها.

من المخجل والمؤسف أن يغيب عن النخب العربية السياسية والإعلامية التوصيف الحقيقي للاحتلال الإيراني والروسي، وينحاز كثير من هذه النخب لطائفية بغيضة على حساب الشام وثورتها ودمائها، هذه النخب عليها اليوم مراجعة نفسها، ولا أظن أنها مستعدة لذلك فهي جزء من نظام «سيستم»، ولذا حين طالبت الشعوب بإسقاط الأنظمة لم يكن قصدها إسقاط نظام سياسي بقدر ما كان هدفها إسقاط منظومة أنظمة سياسية وثقافية وفكرية ودينية واقتصادية متبادلة المصالح مع أس البلاء ورأس الداء وهو النظام السياسي المتواхش المجرم..

العرب القطرية

المصادر: